بفضله على اسرار ذلك والهمني فيه ترتيبا عجيبا لم اذكره في المصنفات التي تقدمت في اسرار
معاملات الدين وهو الذي انا له واصفه ان شاء الله فاقول وبالله التوفيق ان اول ما
ينتبه العبد للعبادة ويتحرك لسلوك طريقها يكون بخطرة سماوية من الله تعالى وتوفيق
خاص الحق وهو المعني بقوله سبحانه وتعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه
واشار اليه صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فقال ان النور اذا دخل القلب
انفسح وانشرح فقيل يا رسول الله فهل لذلك من علامة يعرف بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم التجافي
عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فاذا خطر بقلب العبد
اول كل شيء يقول اني وجدت اجدني منعما على بضروب من النعم كالحيوة والقدرة والعقل
والنطق وسائر المعاني الشريفة واللذات وما ينصرف علي من ضروب المضار والافات فان
لهذه النعم منعما يطالبني بشكره وخدمته فان غفلت عن ذلك فيزيل عني نعمته ويذيقني
باسه ونقمته فقد بعث الي رسولا ايده بالمعجزات الخارقة للعادات الخارجة عن مقدور البشر
واخبرني بان لي ربا جل ذكره قادرا عالما حيا متكلما يامر وينهى وانه قادر على ان يعاقبني
ان عصيته ويثيبني ان اطعته عالم باسراري وما يختلج في افكاري وقد وعد واوعد وامر بالتزام
قوانين الشرع فيقع في قلبه انه ممكن لا استحالة لذلك في العقل في اول البداهة فيخاف على نفسه
عنده ويفزع فهذا خاطر الفزع الذي نبه العبد وكر عليه الحجة ويقطع عنه المعذرة ويزعجه
الى النظر والاستدلال فيحتاج العبد عند ذلك ويقلقل النظر فلا يبقى له قرار وينظر في طريق
احل من حصول الامان له مما وقع بقلبه وسمعه فلم يجد فيه سبيلا سوى النظر بعقله
في الدلائل والاستدلال بالصنعة على الصانع فيحصل له العلم اليقين بما هو علم الغيب
ويعلم ان له ربا كلفه وحجره ونهاه فهذه اول عقبة استقبله في طريق العبادة وهي
عقبة العلم والمعرفة ليكون في الامر على بصيرة فيأخذ في قطعها من غير بد بحسن النظر
في الدلائل وفور العلم والتامل والسؤال من علماء الاخرة الذين هم ادلاء الطريق وسراج

الامة

الامة وقادة الائمة والاستفادة منهم واستهداء الدعاء الصالح منهم للتوفيق والاعانة
الى ان يقطعها بتوفيق الله فيحصل له العلم اليقين بالغيب وهو ان له الها واحدا
لا شريك له هو الذي خلقه وانعم عليه بكل هذه النعم وانه كلفه بشكره وامره بخدمته وطاعته
بظاهره وباطنه وحذره الكفر وضروب المعاصي وحكم له بالثواب الخالد ان اطاعه
وبالعقاب الخالد ان عصاه وتولى عنه فعند ذلك تبعثه هذه المعرفة واليقين بالغيب
على التشمر للخدمة والاقبال على العبادة لهذا المولى المنعم الذي طلبه فوجده وعرفه بعدما
جهله ولكنه لا يدري كيف يعبده وماذا يلزمه من خدمته بظاهره وباطنه فعند
حصول هذه المعرفة بالله سبحانه وتعالى يعلم ما يلزمه من الفرائض الشرعية ظاهرا
وباطنا فلما استكمل العلم والمعرفة بالفرائض انبعث لياخذ في العبادة ويشتغل
بها فنظر فاذا هو صاحب جنايات وذنوب هذا حال الاكثرين من الناس فيقول كيف
اقبل على العبادة وانا مصر على المعصية متلطخ بها فيجب اولا ان اتوب اليه ليغفر لي ذنوبي
ويخلصني من اسرها واتطهر من اقذارها فاصلح حينئذ للخدمة وبساط القربة فيستقبله
هاهنا عقبة التوبة الصادقة وحقوقها وشرائطها الى ان يقطعها فلما حصلت له التوبة
وفرغ من هذه العقبة حن الى العبادة لياخذ فيها فنظر فاذا حوله عوائق محدقة به كل واحدة
منها يعوقه عما قصد من العبادة بضروب من العوائق فتامل فاذا اربع الدنيا
والخلق والشيطان والنفس فاحتاج لا محالة الى دفع هذه العوائق وان احتسها والا
فلا يتاتى له امر من العبادة فاستقبله هاهنا عقبة العوائق فيحتاج الى قطعها باربعة امور
التجرد عن الدنيا والتفرد عن الخلق والمحاربة مع الشياطين والمخالفة مع النفس واما
النفس فاشدها اذ لا يمكنه التجرد عنها ولا ان يقهرها بمرة ويحسمها كالشيطان
اذ هي المطية والالة ولا مطمع ايضا في موافقتها على ما يقصده العبد من العبادة والاقبال
عليها اذ هي مجبولة على ضد الخير كالهوى واتباع ما له فاحتاج اذا ان يلجمها بلجام التقوى

Copyright © King Saud University